

معجم غريب القرآن

مستخرجا من صحيح البخاري

وفيه ما ورد عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة خاصة

« بمصر صحيفة في التفسير ، رواها
علي بن أبي طلحة . لورحل رجل
فيها إلى مصر ، فاصداً ، ما كانت
كثيراً » .
أحمد بن حنبل

* * *

وقد ألحقنا به مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس

وضع

محمد قواديب الباقى

دار الخياء الكتاب العربى
عيسى الباقى الجابنى وشركاه



أبها الرئيس الأكبر !!

تَاللَّهِ تَقْتَوُّوا تَذَكَّرْنِي بِمَا تُسَدِّدِي إِلَيَّ مِنْ عَوَارِفِ تَتَرَى، تَنْوِّءُ بِالْمُعْصِبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ.
أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ هُدَى نِعْمِكَ، وَأَبُوءَ لَكَ بِهَا.

فَأَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الْحَيُّ الْقَيُّومُ، أَنْ يَشْرَحَ لَكَ صَدْرَكَ، وَيَضَعَّ
عَنْكَ وَزْرَكَ، وَيَرْفَعَ لَكَ ذِكْرَكَ ... - آمين

٣٠ مايو سنة ١٩٥٠ م

مُحَمَّدُ فَوَّازُ عَبْدِ الْبَاقِي

المخلص الوفي الأمين

عزيرى الأستاذ فؤاد عبد الباقى .

أطلعتنى على ما أتمت طبعه من كتابك : « معجم غريب القرآن » . وقد ذكرت لأول اطلاعى عليه ، ذلك اليوم القريب البعيد ، حين تكلمت بإهدائى نسخة من كتابك : « تفصيل آيات القرآن الحكيم » ، أثناء كتابتى : « حياة محمد ﷺ » . ولن أنسى ما كان لإهدائك إياى هذا الكتاب ، الذى نقلته عن « جول لاجوم » ، من عون مسعف فى مراجعة ما يتصل بالقرآن الكريم من حياة الرسول العربى الأمين ﷺ . مسعف كذلك فى جمع النصوص القرآنية الخاصة بموضوع واحد ، المتفرقة فى مختلف السور ، جمعاً جمّ الفائدة لمن يريد دراسة موضوع تعرّض له القرآن . سواء أكان هذا الموضوع فى التاريخ أم فى العبادات أم فى الفقه أم فى غيرها من الأمور التى لا حصر لها ، والتى أحاط كتاب الله بها .

وذكرت مع هذا إهداءك إياى : « المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم » . ثم ذكرت كذلك كتابك « اللؤلؤ والمرجان . فيما انفق عليه السخاير » من أحاديث رسول الله ﷺ . وفكرت فى انقطاعك لهذا النوع من التأليف ، تقوم فى سبيله الليل وتصوم النهار . والحق أن الدراسات الإسلامية بحاجة اليوم إلى هذه الفهارس الممتعة التى تقرّب علوم القرآن ، والعلوم الإسلامية كلها ، إلى متناول من يريدون التأليف فيها .

لقد سبّقنا المستشرقون إلى هذه الفهرسة ، فجئت أنت تسابقهم بعد إذ رأيت أبناء العربية يبدلون الجهد ، ويعرضون للدراسات الإسلامية بالم يكونوا يعرضون به من قبل . وأنت ، لاريب ، تشكر من المشتغلين بهذه الدراسات ، وتشكر من الذين يريدون الوقوف على ما ينطوى عليه الكتاب الكريم ، وتنطوى عليه الأحاديث النبوية الشريفة ، من حكم بالغة ، وأحكام دقيقة ، وتفكير عميق ، وسموّ فى العاطفة والأسلوب ، لا يُرْتَقَى إليه .

وكما ذكرتُ كتابيك هذين لأول ما اطَّأمتُ على معجمك عن غريب القرآن ، ذكرتُ يومَ أن تقدمتُ أنا ، من بضع سنوات خاتتُ ، إلى مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، واقترحتُ عليه وضع معجم للقرآن . وكيف نوقش هذا الاقتراح مناقشة مستفيضة انتهت إلى إقراره . وذكرتُ فقيداً مصر والإسلام الأستاذ الأكبر « الشيخ مصطفى عبد الرازق » ، واشترَاكه في اللجنة التي تألفت لوضع هذا المعجم ، واختياره إياك لماونته في هذا العمل الجليل ، وبذلك الجهد في هذه المعاونة على نحو كان يرضيه ، رحمة الله عليه ، غاية الرضى .

ولعل جهدي في هذه المعاونة هو الذي أدى بك إلى وضع هذا المعجم لغريب القرآن . وإن كان اشتغالك قبل ذلك بالفهرسة آيات الكتاب الحكيم على طريقة « جول لابوم » قد كان ، فيما أظن ، مما مهّد لك السبيل إلى هذا العمل خير تمهيد ، كما مهده لك ، كذلك ، اشتغالك بجمع الحديث . ولعلك قد سبقتَ بمملك هذا ، معجم القرآن الذي تضمه لجنة مجمع فؤاد الأول . على أنني أشعر أن العمل الصالح الذي قَتَّ أنتَ به ، على فائدته لمن يريد الوقوف على معاني الغريب من القرآن في سرعة توفّر عليه الكثير من الوقت ، لم يقصد به إلى الاستغناء عن المعجم الذي تضمه لجنة المجمع . فالفكرة التي قصدتُ أنا إليها ، يوم اقترحتُ وضع هذا المعجم ، هي أن يقف ، من يدرس القرآن ، على معاني ألفاظه عند العرب حين أوحاه الله إلى رسوله ﷺ . فكثيراً ما تتغير قيم الألفاظ وإن لم تتغير معانيها تغيراً أساسياً . ونحن أحوج ما نكون إلى معرفة القيم التي كانت لكل لفظ من ألفاظ القرآن حين نزوله .

صحيح أن المفسرين شرحوا لنا مرأى هذه الألفاظ ومعانيها ، لكن هؤلاء المفسرين جاءوا بعد قرون من نزول الكتاب الكريم ، وبعد أن كانت قيم الألفاظ قد ازدادت قوتها أو نقصت . فلا بد للباحث في كتاب الله ، ليكون بحثه علمياً دقيقاً ، من أن يقف على القيم الدقيقة لهذه الألفاظ حين نزولها حتى يبلغ الغاية ، من الدقة المرجوة .

وصحيح أيضاً أن لابن عباس تفسيراً منسوباً إليه ، على أنه وضع في الصدر الأول وعقب وفاة

الرسول عليه السلام . وقد اعتمدت أنت على هذا التفسير ، ولك عن ذلك كل العذر . لكنني أود لو أن المعجم الذي تضمه لجنة المجمع يتجاوز هذا المدى إلى مقارنة كل لفظ ورد في القرآن بعثله مما ورد في الشعر الذي سبق القرآن والذي عاصره ، لتحديد القيمة لهذا اللفظ في ذلك العصر ، تحديداً ييسر لنا الدراسة العلمية الدقيقة التي نقصد إليها .

هذه الدراسة جليلة الخطر اليوم ، وكانت جليلة الخطر في العصور التي خلت من قبل . فعلوم القرآن ، والعلوم الإسلامية بوجه عام ، تستند في جملتها إلى ما جاء في كتاب الله . والفلسفة الإسلامية تستمد جل وجودها من هذا الكتاب الكريم . فلا بد - وهذه هي الحال - من الدقة ، غاية الدقة ، في إدراك المدلول الصحيح الذي تنطوي عليه ألفاظ القرآن يوم نزولها ، حتى تكون النتائج العلمية أو الفلسفية التي تترتب عليها ، دقيقة كذلك .

هذا ما أرجو أن يبلغه المعجم الذي تضمه اللجنة وبصدره المجمع .

أما كتابك هذا : « معجم غريب القرآن » فقد قصدت ، كما سبق القول ، إلى إرضاء حاجة قارئ كتاب الله قراءة يريد منها الإدراك . فلا يقف في سبيله لفظ غريب يغيب عنه معناه . وهذا غرض جليل كذلك . فلايين المسلمين ، بل عشرات الملايين منهم ، هم الذين يتلون الكتاب ويريدون منه هذا الإدراك التام . وتيسير السبيل لهم إلى هذا الغرض جديرٌ بالتقدير ، وبالثبوت من الله الذي أوحى كتابه إلى رسوله ﷺ ، هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان .

أنا بك الله ، يا أخى ، على ما بذلت من جهدٍ صالح ، وجمعت لك من نيتك ما يضاعف به مثوبتك . فأنت بذلك جدير . نفع الله بك ، ووفقك للخير ، إنه سميع مجيب .

٢٩ مايو سنة ١٩٥٠

محمد حسين فضل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللهم إني أحمدك على ما أزلتَ إليّ من نعمتك . وعلى ما أزلتَ عني من نعمتك . على أني لم أكن أهلاً للأولى . وكنتُ بالثانية أولى . لولا فضلُ منكَ سابقُ حمدُ الحامد وراءه يقطفُ . وإن أعنق فكأنه مصفود يرسف . وكرمُ باسقُ شكر الشاكر ينوء تحته بجناح مهيب . وإن حلق فكأنه لاصق بالحضيض (١) .

وأحمده على ما أدرج من آلائه . في تضاعيف ابتلائه . وما رزقني من درك الغبطة . بما أذقتني من مسّ السخطة . وما تهذّل علىّ من ثمر الطافه . حتى استمكنك أصابعي من اقتطافه . وأستمينه في الاستقامة على سواء سبيله . وأستعيز به من الاستنامة إلى الشيطان وتسويله (٢) . وأولى ما قفّي به حمدُ الله تعالى ، الصلاةُ على النبيّ العربيّ المستلّ من سلالة عدنان . المفضل باللسان . الذي استخزنه الله الفصاحة والبيان . وعلى عترته وصحابته مداره العرب وغولها . وغرر بني معدّ وحجولها (٣) .

أزل الله عليه كتاباً ساطعاً تبيانه . قاطعاً برهانه . وحيّاً ناطقاً بينات وحجج . قرآناً عربياً غير ذي عوج . مفتاحاً للمنافع الدينية والدنيوية . مصداقاً لما بين يديه من الكتب السماوية . معجزاً باقياً دون كل مُعجز على وجه الزمان . دائراً من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان . أغم به من طول بعمارضته من العرب العرباء . وأبكم من تُجدّي به من مصاقع الخطباء . فلم يتصدّ للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحاءهم . ولم ينهض لمقدار أقصر سورة منه

(١) مقتبس من خطبة الإمام الزمخشري لأطواق الذهب .

(٢) مقتبس من خطبة الإمام الزمخشري لمقاماته .

(٣) مقتبس من خطبة الإمام الزمخشري لأساس البلاغة .

ناهض من بلغائهم . على أنهم كانوا أكثر من حصى البطحاء . وأوفر عددا من رمال الدهناء . ولم ينبض منهم عرق المصبية مع اشتهاهم بالإفراط في المضادة والمضارة . وإقائهم الشرائر على الممازة والمآرة . ولقائهم ، دون المناضلة عن أحسابهم ، الخُطط . وركوبهم ، في كل ما يرومونه ، الشطط . إن أنام أحد بمفخرة أتوه بمفاخر . وإن رماهم بمأثرة رموه بمآثر . وقد جرّد لهم الحجّة أولا ، والسيف آخرا ، فلم يمارضوا إلا السيّف وَحَدّه . على أن السيّف القاضب مخراق لآعب ، إن لم تُحصّ الحجّة حدّه . فما أعرضوا عن معارضة الحجّة إلا لعلمهم أن البحر قد زخر فطمّ على السكواكب . وأن الشمس قد أشرقت فطمست نور السكواكب (١) .

(أما بعد) فقد قال الإمام جلال الدين السيوطي في كتابه « ارتقاء . في علوم القرآن »
ما يأتي :

(النوع السادس والثلاثون) في معرفة غريبه . أفرده بالتأليف خلائق لا يُحصون . ثم قال :
« وأولى ما يرجع إليه في ذلك ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه ، فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة » .

« وما ورد عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة خاصة ، فإنها من أصح الطرق ،
وعليها اعتمد (البخاري) في صحيحه » .

وقال في موضع آخر : « وقد ورد عن ابن عباس في التفسير ما لا يحصى كثرة ، وفيه روايات وطرق مختلفة . فن جيدها طريق علي بن أبي طلحة الهاشمي . قال أحمد بن حنبل :
« بمصر صحيفة في التفسير ، رواها علي بن أبي طلحة ، لو رمل رجل فيها إلى مصر ، قاصدا ،
ما ظله كثيراً » أسنده أبو جعفر النحاس في ناسخه .

قال ابن حجر : وهذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث ، رواها عن معاوية بن صالح ،
عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس .

(١) مقتبس من خطبة الإمام الزمخشري للكشاف

وهي عند البخارى، عن أبي صالح . وقد اعتمد عليها في صحيحه كثيراً ، فيما يملقه عن ابن عباس . وأخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر كثيراً ، بوسائط بينهم وبين أبي صالح . وقال قوم : لم يسمع ابن أبي طلحة من ابن عباس التفسير ، وإنما أخذه عن مجاهد وسميد بن جبير . قال ابن حجر : بعد أن عرفت الوسطة ، وهو ثقة ، فلا ضير في ذلك .

وقال الخليلي في الإرشاد : تفسير معاوية بن أبي صالح ، قاضى الأندلس ، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، رواه الكبار عن أبي صالح كاتب الليث ، عن معاوية . وأجمع الحفاظ على أن ابن أبي طلحة لم يسمعه من ابن عباس (وقد تقدم ، قريباً ، قول الحفاظ ابن حجر في ذلك) .

ولأن هذه صحيفة علي بن أبي طلحة، هي محور ما يدور حوله هذا المعجم ، ولنموض تاريخها مع عظم أهميتها ، وكيف انتقلت إلى مصر ، وكيف أخذ عنها الإمام البخارى ، كل ذلك لا يسطوع بالقيام به إلا رجل تركزت فيه صفتان ، هما الإخلاص في العمل والقدرة على البحث التاريخي المؤيد بالدلائل العلمية . وهاتان صفتان قد توفرتا في صديقي وصفيني الدكتور محمد كامل حسين أستاذ الأدب المصرى بجامعة فؤاد الأول . فقد تولى أمر ذلك الموضوع ببحثه القيم الذى يطلع عليه القارى بعد هذه الكلمة . فأنابه الله عن العلم ، خير ما يثيب به الخالصين .

أما مكانة الإمام عبد الله بن عباس في التفسير ، فألق سمك إلى ما يقوله الحفاظ عماد الدين ، أبو الفداء ، إسماعيل بن كثير القرشىّ الدمشقىّ . قال :

فإن قال قائل : فما أحسن طرق التفسير ؟ (فالجواب) إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن . فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر . فإن أعيانك ذلك فعليك بالسنة ، فإنها شارحة للقرآن ، وموضحة له . بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافىّ رحمه الله تعالى : كل ما حكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن . قال الله تعالى (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِثِينَ

(أى)

خَصِيًّا) ١٠٥/٤ . وقال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) ٤٤/١٦ . وقال تعالى: (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) ١٦/٦٤ . ولهذا قال رسول الله ﷺ : « أَلَا وَإِنِّي أَوْتَيْتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ » يعنى السنة .

والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه ، فإن لم تجده فمن السنة . كما قال رسول الله ﷺ : لماذ حين بعثه إلى اليمن « فِيمَ تَحْكُمُ » ؟ قال : بكتاب الله . قال « فإن لم تجد » ؟ قال : بسنة رسول الله . قال « فإن لم تجد » ؟ قال : أجتهد رأيي . فضرب رسول الله ﷺ في صدره ، وقال « الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى رسول الله » .

وحيثئذ ، إذالم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة ، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة . فإنهم أدري بذلك ، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختلفوا بها ، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح . لاسيما علمائهم وكبرائهم ، كالائمة الأربعة الخلفاء الراشدين ، والائمة المهتدين المهديين ، وعبد الله بن مسعود ، رضى الله عنهم . قال الإمام أبو جعفر بن جرير : حدثنا أبو كريب ، جابر بن نوح ، حدثنا الأعمش ، عن أبي الضحى عن مسروق ، قال : قال عبد الله ، يعنى ابن مسعود : والذى لا إله غيره ، ما نزلت آية من كتبات الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت ، وأين نزلت ، ولو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله منى ، تناله المطايا ، لأتيته .

وقال الأعمش أيضا عن أبي وائل عن ابن مسعود قال : كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن .

وقال عبد الرحمن السلمى : حدثنا الذين يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي ﷺ ، وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلمنا القرآن والعمل جميعا .

(بي)

ومنهم الحبر البحر (عبد الله ابن عباس) ابن عم رسول الله ﷺ ، وترجمان القرآن ، ببركة دعاء رسول الله ﷺ له حيث قال « اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل ». وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار وحدثنا وكيع ، ثنا سفیان عن الأعمش عن مسلم - كذا قال - قال عبد الله ، يعني ابن مسعود : نعم ترجمان القرآن ابن عباس . ثم رواه عن يحيى بن داود ، عن إسحاق الأزرق ، عن سفیان ، عن الأعمش ، عن مسلم بن صبيح ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن ابن مسعود أنه قال : نعم الترجمان للقرآن ابن عباس . ثم رواه عن بندار ، عن جعفر بن عون ، عن الأعمش به كذلك .

فهذا إسناد صحيح إلى ابن مسعود أنه قال عن ابن عباس هذه العبارة . وقد مات ابن مسعود ، رضى الله عنه ، في سنة اثنتين وثلاثين ، على الصحيح . وعمر بعده عبد الله بن عباس ستا وثلاثين سنة . فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود !!

وقال الأعمش ، عن أبي وائل : استخلف على عبد الله بن عباس ، على الموسم ، فخطب الناس ، فقرأ في خطبته سورة البقرة (وفي رواية سورة النور) ففسرها تفسيراً ، لوسمته الروم والترك والديلم لأسلموا . اهـ .

هذه هي مكانة حبر الأمة من التفسير . وهذه هي صحيفة علي بن أبي طلحة التي رواها عن ابن عباس ، وسمو منزلتها عند الإمام البخاري . وهذا هو صحيح البخاري ، أصح الكتب المصنفة . هذا الصحيح الذي قال فيه خاتمة مشايخ الإسلام المحققين ، صاحب السباحة مصطفى صبري أفندي ، شيخ الإسلام للدولة العثمانية سابقاً ، في كتابه (القول الفصل ، بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون) ما يأتي :

« في صحيح البخاري مثلاً ألفان وستمائة واثنتان من الأحاديث المسندة ، سوى المكرر . »
« انتقاها من مائة ألف حديث صحيح يحفظها . وقريب من ألفي راوٍ اختارهم من نيف وثلاثين »
« ألفا من الرواة الثقات الذين يعرفهم . »

(جى)

« وكتاب البخارى، البالغ أربع مجلدات كبيرة، يبق بعد حذف أسانيده على حجم مجلد
« واحد متوسط الحجم .

« فهل سمعتم وسمعت الدنيا، أن كتاب تاريخ، في هذا الحجم، يروى ما فيه سماعاً من أنى
« رجل ثقة، يعرفهم المؤلف وغيره من أهل هذا العلم بأسمائهم وأوصافهم، على أن يكون كل
« جملة معينة من الكتاب، مؤلفة من سطر أو أكثر أو أقل تقريباً، سمها فلان وهو من فلان
« إلى أن اتصل بالنبي ﷺ، فيقام لكل سطر من الكتاب، تقريباً، شهود من الرواة يتحملون
« مسئولية روايته ؟ » .

فما أحرانى أن أعكف على الصحيح، وأنقصى كلماته كلمة كلمة، فأتصيد منها الحرف الغريب
من القرآن فأرصده في جزارة . حتى إذا أوفيت على الغاية من الاستقصاء والتحرى، وتكاملت
الجزازات، أقبلت عليهن أرتبهن وأنظمن حسب أوائل حروف المادة التي منها اللفظة الغريبة، ثم
هأنذا أبوبها ثم أضع النماذج المتعددة لها، حتى ارتضيت، أخيراً، النموذج والمثال الذي يراه القارىء
لهذا المعجم .

هذا وليعلم أن الإمام البخارى لم يرو في صحيحه كل الصحيفة، وإنما روى ما يتعلق بشرح
معنى اللفظ الغريب فقط .

وليعلم أيضاً أن مارواه من شرح اللفظ الغريب ليس كله مما جاء بالصحيفة، فقد روى كثيراً
عن غير ابن عباس .

وقد عهد إلى الصديق الوفي الدكتور محمد طامل حسين أن أجرد صحيفة على بن أبي طلحة،
من تفسير الطبرى . فإن مد الله في أيامي، وحققت رغبة صديق وصفى، وأوفيت بهمه، كفت قد
قت بمعمل جليل، هو إحياء أثر نفيس قديم .

أسأل الله الذي لا إله إلا هو، الحى القيوم أن يوفقنى لما يرضيه ولما ينفع به عباده المسلمين
وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

(٣٣/٤١)

محمد فؤاد عبد الباقي

صحيفة علي بن أبي طلحة

في التفسير

لأستاذ الدكتور محمد كامل حسين

أستاذ الأدب المساعد بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

لسنا في حاجة إلى أن نكرر ما قاله القدماء عن بدء تفسير القرآن الكريم ، وأنه بدأ بالرواية ، شأنه في ذلك شأن جميع العلوم التي نشأت في العهد الإسلامي الأول ، وأن التفسير ظل ينتقل بالرواية حتى جاء الوقت الذي دونت فيه هذه الروايات . فن أقدم الروايات التي وصلتنا عن ابن عباس في تفسير القرآن الكريم ، تلك الصحيفة ، التي عرفت بين المفسرين المتأخرين بصحيفة علي بن أبي طلحة . وأقدم نص نعرفه عن هذه الصحيفة ، هو ماورد في كتاب «الناسخ والمنسوخ» لأبي جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري المتوفى سنة ٣٣٨ هـ ، فهو يقول بعد أن أسند عن أحمد بن حنبل : بمصر صحيفة في التفسير ، رواها علي بن أبي طلحة ، لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدا ما كان كثيرا^(١) .

وقال مرة أخرى ، بعد أن أسند أيضاً عن أحمد بن حنبل : بمصر كتاب التأويل عن معاوية ابن صالح ، لو أن رجلا رحل إلى مصر ، فكاتبه ثم انصرف به ، ما كانت رحلته عندي تذهب باطلا^(٢) . وسنرى في هذا البحث أن « كتاب التأويل عن معاوية بن صالح » هو نفس « صحيفة علي بن أبي طلحة » .

وفي تفسير القرطبي في حديثه عن أوائل الذين ألفوا في التفسير « وألف الناس فيه

(١) أبو جعفر النحاس : كتاب النسخ والمنسوخ ص ١٢ (طبعة سنة ١٣٢٣) .

(٢) نفس المصدر ص ١٣

(هـ)

كعبد الرزاق والفضل وعليّ بن أبي طلحة والبخارى وغيرهم» (١).

وذكر صاحب التهذيب في حديثه عن عليّ بن أبي طلحة «ونقل البخارى من تفسيره (أى من تفسير عليّ بن أبي طلحة) رواية معاوية بن صالح عنه عن ابن عباس شيئا كثيرا في التراجم وغيرها، ولكنه لا يسميه. يقول: قال ابن عباس. أو يذكر عن ابن عباس» (٢).

وروى ابن حجر المسقلانى في «فتح البارى»، بعد أن نقل ماجاء بكتاب الناسخ والمنسوخ لأبى جعفر النحاس على النحو الذى ذكرناه سابقا «وهذه النسخة كانت عند أبى صالح كاتب الليث، رواها عن معاوية بن صالح، عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس. وهى عند البخارى، عن أبى صالح. وقد اعتمد عليها فى صحيحه هذا كثيرا. وهى عند الطبرى وابن أبى حاتم وابن المنذر بوسائط بينهم وبين أبى صالح» (٣).

ويذكر السيوطى فى الإتيان: وأولى ما يرجع إليه فى ذلك (أى فى تفسير غريب القرآن) ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه، فإنه ورد عنه ما يستوعب غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة. وها أنا أسوق هنا ماورد من ذلك عن ابن عباس من طريق ابن أبى طلحة خاصة، فإنها من أصح الطرق عنه، وعليه اعتمد البخارى فى صحيحه» (٤).

فمن هذه النصوص التى أوردناها عن هؤلاء الأعلام، نستطيع أن نقول، إن صحيفة عليّ بن أبى طلحة فى تفسير القرآن الكريم، هى من أقدم الروايات التى دونت عن ابن عباس. وإن هذه الرواية من أصح الطرق عنه، وإن البخارى وابن جرير الطبرى وغيرهما نقلوا هذه الصحيفة فى كتبهم؛ ومع ذلك كله فيخيل إلى أن هذه الصحيفة لم تسكن معروفة إلا فى دائرة محدودة من بعض علماء التفسير، فلم يرد لها ذكر فى كتب المتقدمين الذين تحدثوا عن الذين دونوا التفسير. فابن القديم

(١) تفسير القرطبي ج ١ ص ٣١ (طبع دار الكتب المصرية).

(٢) راجع فى ذلك أيضا تذهيب التهذيب، و خلاصة التذهيب - مادة عليّ بن أبى طلحة.

(٣) ابن حجر: فتح البارى ج ٨ ص ٣٣٢ (الطبعة الأولى سنة ١٣٠١).

(٤) السيوطى: الإتيان ج ١ ص ١١٥ (طبعة المطبعة الأزهرية سنة ١٣١٨).

مثلاً، لم يذكرها في الفهرست، مع أنه سرد أسماء عدد من الرواة الذين دونوا التفسير؛ ولم يشير إلى هذه الصحيفة أحد، إلا الذين نقلوا عنها، أمثال أبي جعفر النحاس وابن جرير الطبري وغيرهما. أو الذين تحدثوا عن من نقل عنها، كالذهبي وابن حجر المسقلاني والسيوطي وغيرهم. فإنهم لم يتحدثوا عن هذه الصحيفة إلا بمناسبة حديثهم عن البخاري؛ ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن الذي نقل هذه الصحيفة عن علي بن أبي طلحة، كان رجلاً قضى أكثر سنى حياته بالأندلس، وهو معاوية بن صالح. وأن الذي نقلها عن معاوية، كان يعيش في مصر، وهو عبد الله بن صالح، المعروف بكتاب الليث بن سعد. ونحن نعلم أن أهل المشرق لم يهتموا بعلماء المغرب اهتمامهم بعلمائهم^(١). وأن أهل المغرب ومصر كانوا يؤثرون دائماً أن يأخذوا علومهم عن أهل المشرق ولم يقوموا بعلمائهم. ويكفي أن نذكر في سبيل الاستدلال على ذلك، ما كتبه الليث بن سعد إلى مالك بن أنس «وأنه بلغك أني أفتي بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عنكم، وإني يحق علي الخوف على نفسي لاعتماد من قبلي على ما أفتيتهم به، وأن الناس تبع لأهل المدينة، التي إليها كانت الهجرة وبها نزل القرآن إلى أن يقول.. وما أجد أحدا ينسب إليه العلم أكره لشواذ الفتيا، ولا أشد تفضيلاً لعلماء أهل المدينة الذين مضوا، ولا آخذاً لفتياهم فيما اتفقوا عليه، مني»^(٢) فإذا كان هذا رأي فقيه مصر الذي قال عنه الشافعي «الليث بن سعد أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به»^(٣) فكيف يقول غيره ممن لم يبلغوا في العلم درجة الليث؟ فلو أن رجلاً من أهل العراق المتقدمين نقل هذه الصحيفة لكان لها شأن لدى علماء المشرق والمغرب جميعاً. ولكن الذي حفظ هذه الرسالة هو كاتب الليث بن سعد، فأصابها ما أصاب فقه الليث بن سعد. ولو لم يرو البخاري بعض هذه الصحيفة ما كنا نعلم عنها شيئاً. ولو لم يرو ابن جرير الطبري أكثر نصوصها ما كنا نستطيع أن نتعرف على بعض خصائصها ومميزاتها. واملك تلاحظ

(١) راجع ما كتبناه عن ذلك في كتاب «أدب مصر الإسلامية».

(٢) ابن القيم: أعلام الموقعين ج ٣ ص ٨٢ (طبع سنة ١٣٢٥).

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٣٨

(زى)

مى أن البخارىّ وابن جرير هما اللذان حفظا شيئاً من هذه الصحيفة وهما من أهل المشرق ، وأنهما أخذتا هذه الصحيفة في وفودهما على مصر ، فلو لم يقدر لهما الحضور إلى مصر لما عرفنا عنها شيئاً ، واضاعت الصحيفة تماماً كما ضاع غيرها من كتب المصريين وغير المصريين من أهل المغرب. ومع ذلك فإن البخارىّ أخذ عنها بعض مفردات سردها في صحيحه دون أن يشير إليها ، ونقل ابن جرير أكثرها وجعلها متفرقة في كتاب تفسيره كأنها رواية من رواياته العديدة ، ولم ينقلها أحد ، فيما نعلم ، وحدة مستقلة حتى تأخذ مكانها بين كتب التفسير المتداولة .

أضف إلى ذلك كله ، أن ابن أبي طلحة الذي تعرف به الصحيفة ، كان يعيش في حمص ، ولم تكن حمص في القرن الثاني من الهجرة من مراکز العلم الهامة التي يرحل إليها العلماء . ولذلك ظل مغموراً ، ولم يرو عنه إلا أهل بلده . فالذي نقل عنه صحيفته رجل من حمص ، وهو معاوية بن صالح ، ولهذا لم يعرف الصحيفة إلا عدد قليل من العلماء .

وهناك سبب آخر له قيمته في ضياع هذه الصحيفة . ذلك أن بعض العلماء جرّحوا على بن أبي طلحة - على نحو ما سنذكره - بينما وثقه بعضهم الآخر . فتعمد كثيرون أن لا يأخذوا عنه ، كما أن عدداً من العلماء لم يوثقوا عبد الله بن صالح كاتب الليث فلم يرووا عنه ، فاضاعت الصحيفة بين هؤلاء العلماء .

أما ابن أبي طلحة الذي تعرف به هذه الصحيفة فهو⁽¹⁾ على بن أبي طلحة سالم بن المخارق الهاشميّ ولاء ، ويكنى بأبي الحسن وقيل غير ذلك . قيل إن أصله من الجزيرة ثم انتقل إلى حمص وظل بها طول حياته . ولا ندرى سبب استقراره في حمص إذ لم يصلنا عن نشأته وحياته شيء . وكل الذي وصلنا عنه إنما هو في الحديث عن شيوخه الذين أخذ عنهم ، وعن هؤلاء الذين روى عنه؛ ثم عن توثيقه أو تجريحه . ويكاد يجمع الذين تحدثوا عنه من المؤرخين والمحدثين أنه لم يرو

(1) مراجعنا في الحديث عن على بن أبي طلحة هي : تاريخ الإسلام للذهبي ، التهذيب ، تهذيب التهذيب خلاصة تهذيب الكمال للخزرجي ، ميزان الاعتدال .

(حى)

عن ابن عباس مباشرة ، إنما أخذ رواية ابن عباس بواسطة بينهما . واختلف المؤرخون في من كان بينه وبين ابن عباس ، فأبو جعفر النحاس يذهب إلى أنه مجاهد أحياناً وعكرمة أحياناً أخرى .
أى أن سلسلة الرواية هى على بن أبي طلحة عن مجاهد عن ابن عباس أحياناً ، وعلى بن أبي طلحة عن عكرمة عن ابن عباس أحياناً أخرى^(١) . وجعل السيوطى^(٢) الواسطة هو مجاهد طوراً ، وسعيد ابن جبير طوراً آخر^(٣) . ولا نستطيع أن نتبين الحقيقة لأن الذين رووا عن ابن أبي طلحة أغفلوا ذكر من كان بينه وبين ابن عباس ، ومن هنا جاء الطعن في إسناده . وقد دافع عنه أبو جعفر النحاس بقوله « والذى يطعن في إسناده يقول : ابن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس ، وإنما أخذ التفسير عن مجاهد وعكرمة ، وهذا القول لا يوجب طعناً لأنه أخذه عن رجلين ثقتين ، وهو في نفسه ثقة صدوق »^(٤) ، وعدّله في رواية هذه الصحيفة أحمد بن حنبل على النحو الذى رأيناه في النص الذى نقله عنه أبو جعفر النحاس . غير أن ابن حنبل كان يقول عنه « له أشياء منكرات » وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال « روى عن ابن عباس ولم يرّه » وروى له مسلم حديثاً واحداً في ذكر العزل^(٥) ، وروى له المحدثون حديثاً آخر في الفرائض ، وقد ذكرنا أن البخارى نقل من صحيفته في التفسير الذى رواه عن ابن عباس شيئاً كثيراً في التراجم وغيرها بالرغم من أنه لا يسميه ، ويقول فيه أبو داود « هو إن شاء الله مستقيم الحديث ، ولكن له رأى سوء ، كان يرى السيف » وذلك أن أبازرعة الدمشقى روى عن على بن عباس الحمصى قال : لقي العلاء بن عتبة الحمصى على بن أبي طلحة تحت القبة ، فقال : يا أبا محمد تؤخذ قبيلة من قبائل المسلمين ، فيقتل

(١) النحاس : الناسخ والمنسوخ ص ١٣

(٢) السيوطى : الإتيان ج ٢ ص ١٨٨

(٣) النحاس : الناسخ والمنسوخ ص ١٣

(٤) ١٦ - كتاب النكاح ، ٢١ - باب حكم العزل ، حديث ١٣٣ والحديث هو « حدثني هرون بن

سعيد الأيلى حدثنا عبد الله بن وهب أخبرني معاوية (يعنى ابن صالح) عن على بن أبي طلحة عن أبي الوداك عن أبي سعيد الخدرى سمعه يقول : سئل صلى الله عليه وسلم عن العزل فقال : ما من كل الماء يكون الولد ، وإذا أراد الله خلق شيئاً لم يمنعه شيء .

(طى)

الرجل والمرأة والصبي ، لا يقول أحد : الله . الله . والله أين كانت بنو أمية أذنت لقد أذنب بذنبها أهل المشرق والمغرب ، (يشير إلى ما فعله بنو العباس لما غلبوا على بنى أمية . وأباحوا قتلهم) فقال له عليّ بن أبي طلحة : يا عاجز !! أو ذنب على أهل بيت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن أخذوا قوماً بجرأئهم وعفوا عن آخرين ؟ فقال له العلاء : وإنه لرأيك ؟ قال : نعم . فقال له العلاء : « لا كلمتك من فمى بكامة أبدا . إنما أحببنا آل محمد بحبه . فإذا خالفوا سيرته وعملوا بخلاف سنته فهم أبغض الناس إلينا » . فإن صحت هذه القصة ، فإنها تدل على مبلغ تشيع أهل الشام لبني أمية ، وتشيع عليّ بن أبي طلحة لمواليه الهاشمين ، فمن الطبيعي أن تختلف نزعة العلاء بن عتبة الجصى عن نزعة عليّ بن أبي طلحة ، وأن تختلف آراؤهما ، فهذه القصة إذن لا تنقص من قدر ابن أبي طلحة .

هناك عدد من العلماء أنكروا الرواية عن ابن أبي طلحة بجانب هؤلاء الذين عدّلوها ، فمن الذين لم يوثقوه : يعقوب بن سفيان الذى قال عنه « ضعيف الحديث منكر ، ليس محمود المذهب » وقال فى موضع آخر : شامىّ ليس هو بمتروك ولا هو حجة » ، ولعل هذا هو السبب الذى من أجله لم يرو البخارىّ شيئا من الأحاديث عن طريقه ، بل لم يذكره فى إسناده حينما أخذ من صحيفته فى التفسير ، على أن الذين وثقوه والذين جرحوه انفقوا جميعا على صحة رواية الصحيفة التى عرفت به فى التفسير .

ويذكر بعض المؤرخين أن سفيان الثورىّ والحسن بن صالح وثور بن يزيد سمعوا من عليّ ابن أبي طلحة ، ولكن أحمد بن حنبل يفرق بين رجلين كل منهما كان يعرف باسم عليّ بن أبي طلحة . أحدهما كوفىّ ، وهو الذى روى عنه الثورىّ والحسن بن صالح وغيرهما . والآخر شامىّ ، وهو صاحب الصحيفة فى التفسير . ولكن صاحب التهذيب صوّب أنهما شخصية واحدة . فصاحب الصحيفة هو نفسه الذى روى عنه الثورىّ وغيره ، ولم تصل إلينا نصوص كافية لمعرفة حقيقة هذا الخلاف . كما نرى خلافا آخر بين أبي بكر بن عيسى صاحب تاريخ حمص ، وبين

خليفة بن خياط في تاريخ وفاة عليّ بن أبي طلحة . فقد ذهب الأول إلى أن ابن أبي طلحة توفي سنة ١٤٣ هـ . وذهب الآخر إلى أنه مات سنة ١٣٠ هـ . ويقول صاحب التهذيب إن الأول أصح .
ولسكننا لا نستطيع أن نرجح أحد الرأيين .

وثاني رجال هذه الصحيفة هو معاوية بن حدير بن سعيد الحضرمي^(١) ، ويكنى بأبي عمر ، وقيل بأبي عبد الرحمن الحمصي ، لا نعرف شيئاً أيضاً عن نشأته ، إذ لم تصلنا ترجمة حياته إلا ما قيل إنه خرج من حمص إلى المغرب ثم دخل الأندلس سنة ١٢٣ هـ^(٢) ، ولكن اتفق ابن سعيد المغربي وابن بونس المؤرخ المصري على أنه دخل الأندلس سنة ١٢٥ هـ واستوطن مدينة مالقة ، وبني هناك مسجداً نسب إليه ، وكان يعرف باسمه حتى القرن الثامن للهجرة^(٤) ثم انتقل إلى إشبيلية وسكنها إلى أن ولي عبد الرحمن بن معاوية الأمويّ أمر الأندلس سنة ١٢٩ هـ فاتصل به . وقيل إن عبد الرحمن أرسله إلى الشام في بعض أمره ، فلما عاد جعل إليه القضاء بقرطبة^(٣) . فإذا صححت هذه القصة فنرجح أن عبد الرحمن أرسله سنة ١٥٤ هـ . ذلك أن ابن سعيد المغربي قال عنه « إنه حج مرة واحدة » وقال عبد الله بن صالح : « مر بنا معاوية بن صالح حاجاً سنة ١٥٤ هـ فكتب عنه أهل مصر وأهل المدينة » فلو كان معاوية بن صالح خرج إلى الشرق في سنة غير هذه السنة ، لتحدث بها المصريون الذين أخذوا عنه . ومن يدرى ، لعل عبد الرحمن الداخل أرسله إلى الشام في أمر يدعو إلى الستر والسكبان ، فنخرج معاوية إلى هذا الأمر مع الحجيج حتى لا تنبه إليه عيون المباسيين ، ويخيل إلى أن معاوية نجح في سفارته مما جعل صاحب الأندلس يمهّد إليه بالقضاء .

لا نستطيع أن نحدّد متى أخذ معاوية بن صالح الصحيفة عن عليّ بن أبي طلحة ، إلا أننا نرجح أن ذلك كان قبل خروج معاوية من حمص أي قبل سنة ١٢٣ هـ (أو سنة ١٢٥ هـ) . إذ أن

(١) مرّاجعنا في الحديث عن معاوية بن صالح هي نفس المراجع التي رجعنا إليها في الحديث عن عليّ بن أبي طلحة .

(٢) أبو الحسن النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ص ٤٣ (نشر الأستاذ بروفنسال) .

(٣) نفس المصدر ص ٤٣ .

(٤) نفس المصدر .

المصادر التي بين أيدينا لا تذكر شيئاً عن عودة معاوية إلى حمص بعد أن خرج منها لأول مرة . كما لم تذكر المصادر أن علي بن أبي طلحة رحل إلى المغرب . فقبل أن يخرج معاوية من حمص روى عن علي بن أبي طلحة ويحيى بن سعيد الأنصاري ومكحول الشامي وابن راهويه وغيرهم . وعندما مر بمصر روى عنه عدد من أكبر علماءها . منهم الليث بن سعد فقيه مصر المتوفى سنة ١٧٥ هـ ، وعبدالله بن وهب المتوفى سنة ١٩٧ هـ ، وهو من أوائل الذين دونوا الحديث في كتابه «الجامع في الحديث» وعبد الله بن أبي صالح وغيرهم . وقد ذكرنا أن معاوية زار مصر مرتين : الأولى سنة ١٢٥ هـ في طريقه إلى المغرب ، والثانية سنة ١٥٤ هـ في طريقه إلى الحج . والذي ذكر تاريخ زيارته الأولى هو مؤرخ مصر ابن يونس . والذي ذكر زيارته الثانية هو عبد الله بن أبي صالح الذي نقل عنه الصحيفة في التفسير . فهل نفهم من ذلك أن ابن أبي صالح أخذ الصحيفة عنه في هذه الزيارة الثانية ؟ هذا ما نرجحه . ولا سيما وأنتا نعلم أن ابن وهب ، أحد الذين رروا عنه ، ولد سنة ١٢٥ هـ . وأن ابن أبي صالح حدد سنة ١٥٤ هـ ولم يذكر شيئاً عن زيارته الأولى .

وبالرغم مما عرف به معاوية بن صالح من علم حتى قال عنه النباهي « كان من جلة أهل العلم وكبار رواة الحديث ، ورحل إليه زيد بن الحباب من الكوفة فسمع منه بالأندلس حديثاً كثيراً »^(١) وقال ابن سعيد « كان ثقة كثير الحديث » وقال حميد بن زنجويه « قلت لعلي بن المديني : إنك تطلب الغرائب ، فأنت عبد الله بن صالح فآكتب عنه كتاب معاوية بن صالح تستفد منه مائتي حديث » وبالرغم أيضاً من أن عدداً من الأعلام المعروفين بالفقه والرواية الصحيحة رروا عنه ، فإن هناك بعض من جرحه . فابن معين كان يقول : إنه ثقة . ولكنه روى أيضاً أن ابن مهدي كان إذا تحدث بحديث معاوية بن صالح زبره يحيى بن سعيد وقال : إيش هذه الأحاديث . وروى الدوري عن ابن معين : أنه ليس بمرضٍ . وربما كان السبب في تجريحه هو ما عرف عنه من أنه كان ممن يستغنى بعقله وعلمه وفهمه عن مشاورة غيره^(٢) . ومهما يكن

(١) النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ص ٤٣ .

(٢) نفس المصدر السابق ص ٤٣

(بك)

من شىء فإن الذى خلد اسمه هو حفظه لصحيفة على بن أبى طلحة فى التفسير . واختلف المؤرخون فى وفاته ، فذهب النباهى إلى أنه توفى سنة ١٦٨ هـ ، وقال ابن بونس المصرى إنه توفى سنة ١٥٨ هـ ويقول ابن مروان صاحب تاريخ الأندلس إنه توفى سنة ١٨٣ هـ . ولا نستطيع أن نرجح إحدى هذه الروايات لأن المصادر التى بين أيدينا لا تكفى لتحقيقها .

أماتات رجال هذه الصحيفة ، والذى يرجع إليه الفضل فى تعريفها لأهل المشرق ، حتى نقلها البخارى ، وأبو حاتم وابن جرير وغيرهم ، فهو عبد الله بن صالح المعروف فى تاريخ الحركة الفكرية فى مصر الإسلامية بأبى صالح كاتب الليث بن سعد^(١) ، فقد كان الليث بن سعد رجلا له ضياع ومال ، وكان ينفق عن سعة على نفسه وعلى غيره من المحتاجين وغير المحتاجين ، وقصص بذخه وهداياها عديدة تدل على يسره أولا ، وشدة كرمه ثانيا . فلا غرو أن رأينا يتخذ رجلا يثق به ليشراف على أمواله وضياعه ، فكان هذا الكاتب هو عبد الله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهنى المصرى . عرف عبد الله بأنه صاحب علم ، وأنه صاحب حديث ، كما عرف بالتقوى والصلاح ، حتى قال الفضل بن محمد : ما رأيت أبا صالح إلا وهو يتحدث أو يسيح . . . روى عن الليث بن سعد ، وروى الليث عنه ، كما حدث عن معاوية بن صالح وموسى بن على وغيرهما ، وأخذ عنه أحمد بن الفرات ويحيى بن معين وغيرهما ، ووثقه عدد من العلماء وأثنوا عليه ، فيروى أبو حاتم : سمعت محمد بن عبد الله بن عبد الحكم^(٢) وسئل عن أبى صالح فقال : تسألنى عن أقرب رجل إلى الليث بن سعد ، لزمه سفرا وحضرا ، وكان يخالو معه كثيرا ، لا ينكر لثله أن يكون قد سمع منه لكثرة ما أخرج عن الليث . . . ويقول ابن معين . . . أقل أحواله أن يكون قرأ هذه الكتب على الليث وأجازها له . وقال عبد الملك بن

(١) راجع التهذيب والتنذيب والخلاصة وميزان الاعتدال ، وفتح البارى وحسن المحاضرة للسيوطى .

(٢) محمد بن عبد الله بن عبد الحكم كان أخص تلاميذ الشافعى وكان والده زعيم المدرسة المالكية بمصر وتولى محمد رئاسة المدرسة المالكية بعد أبيه ، وذاعت شهرته فى الأقطار الإسلامية حتى صارت إليه الرحلة لأخذ مذهب مالك . حتى قيل عنه : إنه أعلم من على أديم الأرض بمذهب مالك . وتوفى سنة ٢٦٨ هـ [راجع ما كتبه عن بنى عبد الحكم فى كتاب « أدب مصر الإسلامية »] .

(جك)

شعيب، حفيد الليث « ثقة مأمون سمع من جدّي حديثه » وقال أبو حاتم « هو صدوق أمين ما علمته » وقال أبو زرعة « لم يكن عندي ممن يتعمد الكذب وكان حسن الحديث. وكان يعقوب ابن سفيان يقول « حدثني أبو صالح ، الرجل الصالح » وقال الذهلي « شغلني حسن حديثه عن الاستكثار من سعيد بن عفير » (١) .

وبجانب هؤلاء الأعلام الذين وثقوا أبا صالح ، نرى عددا من العلماء لا يثقون به ، فالنسائي لم يثق به ، وقال علي بن المديني : ضربت على حديثه . وقال صالح جزره : كان ابن معين يوثقه وعندى أنه يكذب في الحديث . وقال ابن عدى . كان مستقيم الحديث إلا أنه يقع في أسانيده ومتونه غلط ولا يتعمد الكذب . وسئل أحمد بن حنبل عنه فقال : كان في أول أمره متمسكاً ثم فسد بأخرة . وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل أيضا : ذكرت أبا صالح لأبي فكرهه ، وقال إنه روى عن الليث عن ابن أبي ذئب ، وأنكر أن يكون الليث سمع من ابن أبي ذئب ..

وهكذا اختلف العلماء في أبي صالح اختلفهم في معاوية بن صالح وفي علي بن أبي طلحة ، ولكنهم اتفقوا جميعا على أن حديث أبي صالح كان مستقيما في أول حياته ، وأنه لم يتعمد الكذب ، وهناك رواية تقول إن ما وقع في حديثه من مناكير كانت من قبل جاره . فكان هذا الجار يضع الحديث ويكتبه بخط يشبه خط أبي صالح ويرميه في داره ، فيتوهم أبو صالح أنه خطه فيحدث به . ولهذا قال المحدثون إن ما يجيء من روايته عن أهل الخندق كيجي بن معين والبخاري وأبي زرعة وأبي حاتم فهو من صحيح حديثه ، ولذلك ترى البخاري يأخذ عنه صحيفة علي بن أبي طلحة ويورد أكثرها في صحيحه . وبالرغم من أن أحمد بن حنبل كان يكره أبا صالح ، ولم يثق

(١) سعيد بن كثير بن غفير الأنصاري ولد بمصر سنة ١٤٦ هـ وأتم علومه الدينية بمصر ثم رحل إلى بغداد والمدينة وسمع من مالك وغيره وعاد إلى مصر يحدث ، وثقه البخاري والنسائي وابن عبد الحكم وغيرهم ، وكان عالما في الأنساب والتاريخ وأيام العرب وكان في ذلك كله عالما جليل الشأن حتى قيل إن مصر لم تخرج أجمع للعلوم منه ، ومدحه عبد الله بن طاهر والي مصر فقال « رأيت بمصر من عجائب الدنيا ثلاثة أشياء : النيل والهرمين وابن عفير » [راجع كتاب أدب مصر الإسلامية] .

(دك)

به ، فإنه أشاد بذكر صحيفة علي بن أبي طلحة التي كانت عند أبي صالح . وتوفي أبو صالح سنة ٢٢٣ هـ .

هؤلاء هم الرجال الذين نقلوا صحيفة التفسير عن ابن عباس التي عرفت باسم صحيفة علي بن أبي طلحة . وقد ذكرنا أن عبد الله بن صالح هو الذي حفظ هذه الصحيفة وعنه أخذها البخاري وأبو حاتم وغيرها . ونحن نعلم أن البخاري ولد سنة ١٩٤ هـ ، وأنه قام بأول رحلة له إلى الحج مع أمه وأخيه سنة ٢١٠ ، وأنه دخل مصر مرتين^(١) ، ولم تذكر المصادر التي بين أيدينا تاريخ وفوده على مصر ، ولكننا نستطيع أن نقول إنه في إحدى هاتين المرتين قابل عبد الله بن صالح وأخذ عنه الصحيفة في التفسير ، وأن ذلك كان بين سنة ٢١٠ هـ ، وهي السنة التي خرج فيها لأول مرة إلى الحج ، وبين سنة ٢٢٣ هـ وهي السنة التي توفي فيها أبو صالح . ويرجع بمض الفضل إلى البخاري في أنه أخذ هذه الصحيفة ، وروى أكثرها في صحيحه وإن كان البخاري لا يذكر رجالها ، إنما كان يعلقهم عن ابن عباس ، شأنه في ذلك شأن الأحاديث التي رواها عن أبي صالح ، فإن الأحاديث التي رواها البخاري عنه في الصحيح بصيغة « حدثنا » أو « قال لي » أو « قال » المجردة قليلة ، بينما نرى التعليق عن الليث بن سعد من رواية عبد الله بن صالح عنه كثيرا ، وقد أخذ ذلك على البخاري ، ولكن البخاري صنع ذلك لأن الذي أورده من أحاديث أبي صالح صحيح عنده لكنه لا يكون على شرطه ، فلماذا لا يسوقه مساق أصل الكتاب ، غير أن الذي نقله البخاري من صحيفة علي بن أبي طلحة لم يتجاوز مفردات غريب القرآن ، حتى وهم السيوطي في اتقانه أن ما نقله البخاري هو كل ما في صحيفة علي بن أبي طلحة . وقد فطن إلى ذلك صديقنا الباحث المدقق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي عندما أراد أن يجمع مفردات غريب القرآن عن البخاري ، فقال: إن البخاري لم ينقل كل ما جاء في صحيفة ابن أبي طلحة ، كما أن مفردات الغريب في صحيح البخاري جمعت من هذه الصحيفة ومن غيرها . بينما نرى في تفسير الطبري عن هذه الصحيفة تفسير آيات تفسيرها كاملا على نحو ما سنذكر بعد .

(١) ابن حجر : مقدمة فتح الباري ص ٤٧٩ .

(هـ)

فبفضل هذا الكتاب .. (معجم غريب القرآن) نستطيع أن نخرج ما أخذه البخاري من صحيفة ابن أبي طلحة وذلك بمقارنة ماجاء في هذا الكتاب بما رواه ابن جرير الطبري في تفسيره. ذلك أن ابن جرير أخذ من كتب التفسير المصنفة عن ابن عباس خمسة طرق : إحداها طريق علي بن أبي طلحة، أي الصحيفة التي نحن بصددنا .

لم يأخذ ابن جرير الطبري هذه الصحيفة عن عبد الله بن صالح مباشرة . ذلك أن ابن جرير سار إلى الفسطاط في سنة ٢٥٣ هـ أي بعد وفاة أبي صالح بنحو ثلاثين عاما ، ثم رحل إلى الشام ، وعاد إلى مصر مرة أخرى سنة ٢٥٦ هـ حيث نزل على الربيع بن سليمان^(١) أحد أصحاب الشافعي . فهو إذن قد أخذ الصحيفة من هؤلاء الذين رووها عن أبي صالح . ومن سلسلة الرواية في تفسيره نستطيع أن نقول إن ابن جرير الطبري روى الصحيفة عن طريقين : الثاني بن إبراهيم عن عبد الله بن صالح ، وعلي بن داود عن عبد الله بن صالح ، ولا ندرى أين أخذ ابن جرير عنهما ، ولا متى أخذ .

ومهما يكن من شيء فإن ابن جرير قد حفظ لنا الشطر الأكبر من صحيفة علي بن أبي طلحة ، إن لم يكن قد حفظها بكلمها . فهو لم يرو معاني مفردات الغريب كما فعل البخاري ، بل نرى في روايته عن طريق ابن أبي طلحة تفسيراً تاماً للآيات ، ولم يقف عند الألفاظ إلا بقدر . فهو يذكر ناسخ الآيات ومنسوخها ، مثل قوله : فكان أول ما نسخ الله عز وجل من القرآن القبلة . وذلك أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة وكان أكثرها اليهود ، أمره الله تعالى أن يستقبل بيت المقدس . ففرحت اليهود . فاستقبلها رسول الله ﷺ بضعة عشر شهرا . فكان رسول الله ﷺ يحب قبلة إبراهيم عليه السلام ، وكان يدعو وينظر إلى السماء فأُنزل الله عز وجل : قد نرى قلب وجهك في السماء « الآية . فارتاب من ذلك اليهود : وقالوا ماؤلام عن قبلتهم التي كانوا عليها « فأُنزل الله عز وجل « قل لله المشرق والمغرب »^(٢) .

(١) ياقوت : معجم الأدباء ج ٦ ص ٤٣٢ وما بعدها (طبعة مرجوليوت) .

(٢) تفسير الطبري ج ٢ ص ٤ ، ج ٢ ص ١٣ ، وورد هذا النص في الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر

(وك)

ونرى هذه الرواية مرة أخرى في تفسير قوله تعالى (قد نرى تقلب وجهك في السماء ... الآية) . ومثل قوله في تأويل قول الله تعالى : إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين . « فانسح من الوصية الوالدين وأثبت الوصية للأقربين الذين لا يرثون »^(١) . ولم يكتف بهذا التفسير ، إنما نراه يفسر ذلك الخير الذي ورد في الآية السالفة الذكر فيقول : قوله إن ترك خيرا يعني مالا^(٢) .

وفي رواية ابن جرير عن صحيفة علي بن أبي طلحة ما يدل على أنها تتحدث عن أسباب النزول ، فمثلا ، في تأويل قول الله تعالى : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم » يقول : وذلك أن المسلمين كانوا في شهر رمضان إذا صلوا العشاء حرم عليهم النساء والطعام إلى مثلها من القابلة ، ثم إن ناسا من المسلمين أصابوا الطعام والنساء في رمضان بعد العشاء ، منهم عمر بن الخطاب . فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ . فأنزل الله « علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن : يعني انكحوهن : وكلاوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر »^(٣) .

ومثل قوله في تفسير قول الله تعالى : « فن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » فهذا ونحوه نزل بحكمة ، والمسلمون يومئذ قليل ، وليس لهم سلطان يقهر المشركين ، وكان المشركون يتعاطونهم بالشتم والأذى . فأمر الله المسلمين ، من يجازى منهم أن يجازى بمثل ما أوتى إليه أو يصبر أو يعفو فهو أمثل ، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وأعز الله سلطانه أمر المسلمين أن ينتهوا من مظالمهم إلى سلطانهم . وأن لا يعدو بعضهم على بعض كأهل الجاهلية »^(٤) .

(١) نفس المصدر ج ٢ ص ٦٩

(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ٧٠

(٣) نفس المصدر ج ٢ ص ٩٦

(٤) نفس المصدر ج ٢ ص ١١٦

(زك)

فصحيفة عليّ بن أبي طلحة إذن، لم تكن في تفسير مفردات غريب القرآن، كالذي نفهمه من كلام السيوطي في الاتقان، أو مانقله البخاري في صحيحه، فإن التفسير في تلك الصحيفة كان أشمل وأعم مما وهم السيوطي أو مانقله البخاري. ونرجو أن يوفق صديقنا الكبير الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي أن يخرج صحيفة عليّ بن أبي طلحة كما أخرج مفردات غريب القرآن.

محمد طاهر حسين

٣٠ مايو سنة ١٩٥٠